مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 9 / العـدد: 02 (2021)، ص 197- 218

التنويرفي فكرإخوان الصفا

Enlightenment in the thought of the prethren of purity

ط.د: صيقع أسامة [1]

مخبر علم النفس العصبي والإضطرابات المعرفية السوسيو عاطفية

[1]جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر).

siga.oussama@univ-ouargla.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/16 تاريخ القبول: 2021/08/30 تاريخ النشر: 2021/10/07

ملخص:

تعد جماعة إخوان الصفا جماعة مهمة وإرث ثقافي و حضاري في التراث الإسلامي ، ورغم أن الدراسات والأبحاث حولها قليلة في العالم الإسلامي، لأسباب عديدة منها: ندرة الكتابات حول هذه الجماعة، رغم ذلك لها قيمة علمية في التراث الإسلامي، حيث ألفت أوّل موسوعة علمية وفكرية في الحضارة الإسلامية ،تناولت فيها جميع المعارف والأفكار والعلوم المهمة من رياضيات، وفلك، ودين، وغيرها ، هذا إن دلّ إنمّا يدل على طابع الإنفتاح والإطلاع لدى هذه الجماعة ، وهناك طابع آخر قلّما نجد له ذكرا عند المؤرخين والباحثين عنهم ألا وهو طابع التنوير ، الذي يتجلى من خلال عدة مظاهر في فكرهم من خلال : الموسوعية ،العقلانية ، الإنفتاح ، الإصلاح ، وهو ماسوف نعالجه في هذه الورقة البحثية .

كلمات مفتاحية: إخوان الصفا ، التنوير ، الموسوعية ، الإصلاح ، الإنفتاح .

Abstract:

Ikhwan Al-Safa (The Brethren of purity) is an important group and a cultural and civilizational legacy in the Islamic

heritage. Although there are few studies and research about it in the Islamic world for many reasons, including the scarcity of writings about this group, it has scientific value in the Islamic heritage. Ikhwan Al-Safa wrote the first scientific and intellectual encyclopedia in Islamic civilization, in which it tackled all the knowledge, ideas, and the important sciences of mathematics, astronomy, religion, music, and others. If anything, this only indicates the nature of openness and knowledge of this group. Another character that interested historians and researchers rarely mention is the nature of enlightenment, which is manifested through several aspects of their thinking through encyclopedia , rationality , openness , reform , which we will address in this research paper .

Keywords: the brethren of purity; enlightenment ; encyclopedic; reform ; openness .

المؤلف المرسل: صيقع أسامة .

1. مقدمة :

كثيرة هي المفاهيم والقضايا التي نسبت إلى الفكر الغربي كأحد ركائزه وإبداعاته التي حقّقها في تاريخ الفكر الإنساني على سبيل المثال لا الحصر الحداثة، المعجزة اليونانية، الديمقراطية، التنوير، وغيرها من القضايا ،وإذا كنا بصدد التحدث عن التنوير فلا مانع إن تناولناه عند جماعة تسمى إخوان الصفاء من القرن الرابع هجري في أغلب التقديرات، وهي جماعة مهمّة في تاريخ الحضارة الإسلامية، كيف لا وهي من صنّفت أول موسوعة علمية وفلسفية وأدبية في تاريخ الفكر العربي الإسلامي ، ورغم الجدل القائم إلى حد الآن حول الهوية الحقيقية لمؤلفي الرسائل ، والغاية الحقيقية من كتابتها ، إلّا أن ما يهمنا القيمة العلمية والفكرية والفلسفية وما تحتويها، وكيف أنّها مهمة وأثرت في التاريخ

الإسلامي، بل وأثرت في مجتمعات واتجاهات وفرق مختلفة أهمها: التيار الإسماعيلي والباطني ، الدروز والزيدية و من الفلاسفة إبن سينا وأبو حامد الغزالي، وكوننا باحثون نسعى إلى بلوغ الحقيقة والإستفادة من شتىّ القضايا التي تنفعنا، وتنفع أمتنا الإسلامية نحاول أن نقف عند هذا الإرث المنسي والمجهول في تراثنا الإسلامي بعيدا عن النزعات الأيديولوجية والدينية والسياسية التي تفقد الموضوع أهميه وقيمته.

وعليه فإن جماعة إخوان الصفا تشكل إرث كبير في التراث العربي الإسلامي نظرا للأهداف والغايات والأفكار التي حملتها ودونتها في أربع رسائل مهمّة جعلتها جزءا من موروثنا الأدبي والفلسفي والعلمي، حيث قدم إخوان الصفا للفكر الإنساني أكبر موسوعة علمية وأدبية وفلسفية في تاريخ الفكر العربي الإسلامي، وهي تشتمل على أهم المشاكل والقضايا التي اهتم بها الفكر الإنساني منذ بزوغه، وضمت إشكاليات مختلفة أهمّها علاقة الإنسان بالوجود وبالعالم والآخرين وكيفية تحقيق السعادة وهذا من خلال البحث في مجالات عديدة أهمها فكرة الله، المعرفة، الدين، الخلود، السياسية، الدولة وغيرها(إسماعيل عجوب 2010 ، صفحة 17).

ومن الأمور المهمة التي تحسب في فكر إخوان الصفا الدعوة إلى التنوير في ثنايا أفكارهم وكتاباتهم المختلفة في شتىّ المجالات، من خلال دعوتهم إلى التحرر من الأفكار المتعصبة والمنغلقة وأيضا النظرة العقلانية إلى الوجود وكل مايربط به، وأيضا النزعة الإنسانية في فكرهم،والدفاع عن فكرة أن جميع البشر متساوون مهما تكن هناك من إختلافات دينية، أو عرقية ، وكذلك الدعوة إلى الإنفتاح على كل الأفكار والثقافات الأخرى، على غرار الإسلام الذي هو الأصل والثابت، وذلك من أجل بناء مجتمع فاضل يمتاز بحكم عادل ونزيح. فضلا عن ذلك نزعتهم التسامحية التي من مظاهرها المودة والعطف الأخلاقي، وأيضا التعاون بين أفراد المجتمع ، وكل هذه البوادر والإرهاصات تحيل إلى مفهوم عام ألا

وهو التنوير ، ولا نكاد نبالغ إذا قلنا أن جماعة إخوان الصفا حملوا بذور التنوير في الفكر العربي الإسلامي وساهموا في نشره من خلال رسائلهم وأفكارهم.

وعليه نحاول من خلال هذه الورقة البحثية الوقوف عند أهمية جماعة إخوان الصفا في تاريخ الفكر العربي الإسلامي، وأيضا الوقوف عند مظاهر التنوير عندهم، وكيف أنّهم كانوا سباقين في وضع خطوات هذا المصطلح الفلسفي، وتجلّت هذه المظاهر في الدعوة إلى الإنفتاح على الأفكار والثقافات الغير إسلامية، وأيضا الأسلوب العقلاني في معالجة القضايا خاصة علاقة الأنسان بالله والوجود، ودعوتهم إلى التربية وإصلاح المجتمع وغيرها، وفقا لهذا الطرح نحاول الإجابة على التساؤلات الآتية :ما معنى التنوير ؟ وفيما تتجلت مظاهره لدى جماعة إخوان الصفا ؟

2. معنى التنوير :

يتفق معظم الباحثين على القول بأن التنوير مصطلح ظهر خلال القرن الثامن عشر الذي يشكل منعطفا تاريخيا حاسما في تاريخ الحضارة الغربية بصفة عامة، والأوروبية بصفة خاصة، فمن خلاله تشكلت المبادئ والأسس التي لاتزال تتحكم بالغرب ومن بعده الشرق منذ مئتي سنة إلى غاية اليوم، وهو عبارة عن ثورة وحركة شملت مختلف ميادين الحياة منها السياسية والثقافية والإجتماعية والعلمية وغيرها (أبو ناظر ، 2011 ، صفحة 15).

وقد تجسّد التنوير في عدة قضايا أبرزها زيادة سلطان العقل والعلم ونقصان سلطان الكنيسة، باعتبار أنها السلطة التي تتحكم في زمان كل الأمور خاصة الأفكار والمعتقدات الدينية، وأيضا العلمية، ومع زيادة تضحيات العلماء والمفكرين والتشكيك في أفكار هذه الكنيسة، وجدوا أن تلك الآراء والتفسيرات التي تقول بها خرافة لايقبها العقل ولايمكن أن تقدم للإنسان إجابات كافية عن هذا الكون الفسيح، وأدركوا أن هذا الوجود أرقى من أن نفسّره تفسيرا دينيا تكون نتيجته في الغالب غير منطقية وساذجة لا يقبلها منطق التفكير

السليم ومنطق العلم، وعلى إثر ذلك أعلنوا ثورتهم على هذه الأفكار والآراء التي ارتبطت في أذهانهم بالكنيسة ورجالها (الجليند، 1999 ، صفحة 14)، وبدأوا في تحكيم العقل في كل قضية من مجالات الحياة سواء القضايا الدينية أو القضايا العلمية، ومن هنا كان العقل قضية رئيسية في التنوير لدى أوروبا، بل الشيء الذي أعاد هيبة الإنسان من حيث إمتلاكه للوعي لما يحيط به من معارف وأفكار.

وكذلك من أبرز مظاهر التنوير الأوروبي، الإنفتاح على العالم وعلى أفكار الثقافات الأخرى والأخذ منها إن كانت تحوي على فوائد، بالمقابل نبذ التعصب والغلو للآخر، واقصائه من عملية الفكر والإبداع ،كما سادت أيضا روح التسامح والإنسانية بين أفراد المجتمع الواحد وخارج المجتمع، وأيضا حركة الإصلاح الديني مع مارتن لوثر وفوائدها التنويرية، ومن أبرز من نادى بالتنوير في الفكر الغربي والأوروبي بشكل خاص نجد في فرنسا فولتير وروسو وإنجلترا جون لوك ، وألمانيا إيمانويل كانط، هذا الأخير عرّف التنوير في مقالته الشهيرة (ماالأنوار) حين قال : بأنه خروج الإنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه، والذي يعني عجزه عن استعمال عقله دون إرشاد الغير، وإن المرء نفسه مسؤول عن حالة القصور هذه عندما يكون السبب في ذلك ليس نقصا في العقل، بل نقصا في الحزم والشجاعة في استعماله دون إرشاد الغير، أي تجرأ على أن تعرف، كن جريئا في استعمال عقلك أنت ذلك شعار الأنوار(كانط ، صفحة 85).

وإذا تحدثنا عن التنوير في شكله الأوروبي وربط تطور هذا الأخير بظهوره وتجلي مظاهره، وتطبيقاته، فلا يعني ذلك عدم وجوده قبل فترة التنوير الأوروبي، بل نجد تجلياته في جماعة كان لها أثر كبير في الفكر الإسلامي ، خصوصا أن مؤلفات هذه الفرقة ،تبعث على كثير من إرهاصات هذا المصطلح، وظهر هذا من خلال تأثير فكرها على المدارس والفلسفات التي جاءت بعدها كتيار الإسماعيلية والدروز ، وأيضا فلسفة إبن سينا

والغزالي.وعليه نحاول التعرض في العنصر الآتي لهوية إخوان الصفا، قبل التعرض لمظاهر تجلي التنوير لديهم.

3. إخوان الصفا:

عن إخوان الصفا كتب الكثير لا لشيء إلاّ كون المصدر الأساسي عنهم هو رسائلهم المكونة من أربعة أجزاء، كل جزء يناقش عدة قضايا، و بالرغم ماجرى من إحراق الكثير من نسخها عدّة مرات إبان العصور التي سادتها نظم سنية محافظة، مع ذلك سلمت هذه الرسائل الإحدى والخمسون، نظرا لانتشارها في أماكن شتى من أقاليم العالم الإسلامي(إسماعيل عجوب ، 2010 ، صفحة 176).

3 .1. التعريف بجماعة إخوان الصفا:

إذا حاولنا إعطاء لمحة قصيرة عنهم نقول أنهم جماعة من فلاسفة المسلمين إختلف المفكرون والعلماء في تحديد عصر ظهورهم فمنهم من يرجعهم الى القرن الثالث للهجرة، وآخرون يرجعونهم الى القرن الرابع الهجري، بين كل هذه الآراء الجدلية نجد أن النص الوحيد في تحديد نشأتهم وهويتهم مأخوذ من كتاب التوحيدي (**الإمتاع والمؤانسة**)، حيث يقول: إخوان الصفا جماعة سرية نشأت بالبصرة، ولها فروع في أكثر البلاد، أسّسها زيد بن رفاعة الذي أقام بالبصرة، وصادف فيها جماعة جامعيين لأصناف العلم وأنواع الصناعة ، منهم أبو سليمان البستي (المقدسي) وأب الحسن الزنجاني ، وأبو أحمد المهرجاني والعوفي وغيرهم، عصابة تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة، وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة ، علميها وعمليها، وأفردوا لها فهرسا وسموها رسائل إخوان الصفا (التوحيدي ، 2017 ، ص 227).

3 .2 . مؤلفات إخوان الصفا :

يتبيّن من خلال تتبّع مؤلفات إخوان الصفاء أنهم جماعة كانت تمتاز بتنوع العلوم والمعارف والحكمة، ليس هذا فقط بل النزعة الشمولية، والتكاملية، والموسوعية، في معارف عصرهم، على اعتبار أنهم أسهموا مع معاصريهم من العلماء والفلاسفة في إزدهار العلوم العقلية في العالم العربي الإسلامي، من خلال نشر رسائلهم التي تمتاز بأسلوب سهل يفهمه الإنسان العادي، ويستفيد منه المتخصّص، وتكشف رسائلهم التي كانت مزيجا من آراء الفكر اليوناني والفكر الإسلامي نهضة رفيعة في تلك الحقبة من التاريخ الإسلامي (الصاوي ، 1997 ، صفحة 97)، إستفاد منها الكثير من المفكرين واللاحقين عليهم خاصة التيارات والمذاهب الإسلامية من فرق و مذاهب الإسلامية لعل أبرزها: الإسماعيلية والباطنية والزيدية.

وقد جاءت رسائل إخوان الصفا على أربع أقسام تكمن في:

القسم الأول: في الرياضيات ، ويشتمل على أبحاث في العدد، والهندسة، والنجوم، والموسيقى، والجغرافيا، والمنط،ق وتهذيب الأخلاق.

القسم الثاني: في العلوم الطبيعية ، ويتناول عناصر الموجودات وأصناف المعادن وأنوان النبات وأجناس الحيوان.

القسم الثالث: في الشؤون الخلقية والمدركات العقلية ، ويعالج منشأ الأخلاق ونواميس الكون.

القسم الرابع: في الأمور الإلهية والغيبية ، وفيه تفصل نظام أخوان الصفا وخلاصة آرائهم المتعلقة بالله وصفاته والعلاقة بينه وبين الإنسان ، والمصير والخلود وغيرها (فرحات ، 1986 ،صفحة 69).

وهناك الرسالة الخامسة تسمى الرسالة (الجامعة)، وهي حوصلة لجميع الرسائل الأربعة.

4. مظاهر التنوير في فكر إخوان الصفا:

من خلال تتبع تاريخ جماعة إخوان الصفا ورغم الجدل الذي لحقهم، فيما إذا كانوا فرقة شيعية أو إسماعيلية أو فاطمية وغيرها، فإن ذلك لن يقف أمام تناول رسائلهم بطرح موضوعي بعيدا عن كل تعصب أو إنتماء إيديولوجي، ومهما يكم من أمر ومن خلال البحث في أعماق رسائل هذه الجماعة يتّضح لنا جليا أن هذه الجماعة طفرة في التاريخ الإسلامية، ومن الفرق التي لم تنل حقها في البحث والدراسة،كذلك أول مايصطدم به الباحث إيزاءهم تنوع معارفهم الكثيرة التي توحي بسعة الإطلاع والموسوعية التي تمكنوا منها، في كل المجالات تقريبا، مايثبت تقدمهم على عصرهم والإستفادة من كل العلوم السابقة عليهم، فإخوان الصفا يحملون بعض الأهداف التنويرية، والعقلانية، بعيدا عن كل التعصبات الفكرية والدينية والسياسية، ولا أدلّ من ذلك سوى أهمية المعارف الإنسانية عندهم مهما كان تنوعها ومصدرها، وأيضا النزعة الهيومانية أو الإنسانية التي تؤمن بالتسامح الديني وتنبذ التعصب ، باعتبار أن سائر المعارف الدينية، والفلسفية، والطبيعية، والإلهية حسبهم تؤدي إلى فائدة بالنسبة للإنسان في حال تمكن من توظيفها توظيفا صحيحا في حياته العملية والعلمية (إسماعيل ، 2005 ، صفحة 190) ، وإذا كنا بصدد الحديث عن مظاهر التنوير في فكر إخوان الصفا فلا مانع أن نعدّد هذه المظاهر في نقاط أهمها:

4. 1 . الإنفتاح :

الطابع الأكثر حضورا من خلال قراءة رسائل إخوان الصفا هو الإنفتاح ، إذا قلنا بأن التنوير من مظاهره الإنفتاح ، فإن ذلك يعني أن التنوير تجسد لدى هذه الجماعة، من خلال أن جماعة إخوان الصفا نادوا بفكرة الإنفتاح، ومايؤكد هذا القول هو الإشارة الصريحة في الجزء الرابع من رسائلهم والذي جاء فيه كالآتي: ينبغي لإخواننا أيدهم الله تعالى الا يعادوا علما من العلوم أو يهجروا كتابا من الكتب ، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلّها ويجمع العلوم جميعها، وذلك أنه هو النظر في

جميع الموجودات بأسرها الحسية والعقلية من أولها الى آخرها ظاهرها وباطنها من حيث هي كلّها من مبدأ واحد، وعلة واحدة وعالم واحد ونفس واحدة (إخوان الصفا ، 2017 ، صفحة 137)، نفهم من هذا القول وبشكل واضح أن الإنفتاح جزء من فكر إخوان الصفا، بل مظهر من أهم مظاهر التنوير عندهم ،كونه يعكس مدى إتّساع رؤيتهم وانفتاحهم على كافة الأفكار والمذاهب المختلفة، منها الدينية، والسياسية، والفلسفية والعلمية، خاصّة من غير بيئة الإسلام التي نشأوا فيها ، لذلك تعتبر رسائلهم تعبيرا حقيقيا عن حالة الثقافة والعلم والإنفتاح، ومن أسباب ذلك الإنفتاح مايعرف بحركة الترجمة خلال العصر العباسي، وماشملته من ترجمات واسعة في شتى مجالات الحياة كالعلوم، والمنطق، والفلسفة، (عبد الحافظ ، 2007 ، صفحة 37)، واذا تكلّمنا عن الإنفتاح بإمكاننا تقسيم مصادر إنفتاح إخوان الصفا إلى قسمين هما:

4. 1.1. الإنفتاح الديني:

على اعتبار أن جماعة إخوان الصفا جماعة دينية إسلامية فحتما يكون مصدرها الأول الدين الإسلامي، ومبدأه الأول القرآن الكريم، ثم السنة النبوية، لذلك نرى في رسائلهم إقتباسات كثيرة من الآيات القرءانية وأيضا الأحاديث النبوية من أجل دعم مواقفهم الإعتقادية والدفاع عنها، وبالتأكيد قد يكون الإسلام بالنسبة للإخوان أفضل الطرق الموصلة إلى الله وأقصرها ، لكنه ليس الطريق الوحيد المقبول ، وقد عرضت له الشبهات مثلما عرضت للأديان الأخرى، بسبب التعصب وضيق الأفق والوقوف عند حرفية النص المقدس(الحواس، 2016، صفحة 283) ،لهذا و من خلال قراءة هذه الرسائل يتضح أن إخوان الصفا لم يعتمدوا على الإسلام وحده، بل إعتمدوا على مصادر دينية أخرى في أفكارهم نتيجة التأثر والإحتكاك، حيث نجدهم أكثر تحرّر من النصوص الدينية (عبد الحافظ ، 2007 ، صفحة 38)، أي هناك العديد من الأفكار التي أخذوها عن مدارس واتجاهات تختلف

عن الدين الإسلامي، فحسبم أن الإنسان حر فيما يختار من عقائد وأفكار إذا كانت هذه الأفكار تقدم له راحة نفسية، وأيضا فائدة، فكان هدفهم في ذلك الإطلاع على الثقافات والمعارف الأخرى ودمجها في بعض الأفكار الإسلامية، وعلى سبيل المثال لا الحصر فكرتهم عن الإمام، ذلك الإنسان الكامل الإلهي الذات ، والذي اتحدت صفاته العليا، كان هو الله في الحقيقة ، هذه الفكرة مأخوذة نتيجة تأثرهم بالفرس والذين كانوا يعتقدون بحلول الإله في الملوك (عبد الحافظ ، 2007 ، صفحة 35) .

4. 1 . 2 . الإنفتاح الفكري والعلمي:

مايميز جماعة إخوان الصفا خاصة في مؤلفهم الرسائل أنهم متأثرين كثيرا بالعلوم السابقة، وخاصة بالعلماء والفلاسفة الذين سبقوهم على غرار التراث اليوناني، فمثلا نجدهم متأثرين بماجاء به أرسطو خاصة المنطق، وقد حاولو توفيقه مع فلسفتهم، لكن مايحسب لهم هو اعتمادهم على مقولات عشرة مختلفة عما جاء بها أرسطو وهي: الجوهر والكم والكيف والمضاف والأين ومتى والوضع والملكة ويفعل وينفعل (أحمد عبد الله ، 1989 ،صفحة 99)،كذلك نجدهم متأثرين بالأفلاطونية المحدثة في نظرية الفيض التي تقول أن الله هو مصدر الموجودات، فالعالم متغير وغير ثابت، ويجب أن ينتهي إلى الموجد الأول، وهو الله الأزلي الأبدي، وهو فوق كل شيء (مهدي ،2011 ، ص 142)، ونجد أيضا تأثرهم بالفيثاغوريين في نظرية العدد وقد حاولوا التوفيق بينها وبين بعض القضايا الإسلامية، مثل جعل الأرقام مرادفات للأشياء في الواقع ،كالرقم واحد ومطابقته بالله عز وجل، ويظهر ذلك بوضوح في قولهم: إن الله جل ثناؤه لما أبدع الموجودات واخترع المخلوقات، نظمها ورتبها في الوجود كمراتب الأعداد عن الواحد لتكون كثرتها دالة على وحدانيته، وترتيبها ونظامها دالين على إتقان حكمتها في صنعها، ولتكون أيضا نسبتها إلى

الذي هو خالقها ومبدعها كنسبة الأعداد إلى الواحد الذي قبل الإثنين، الذي هو أصلها ومبدؤها ومنشؤها(إخوان الصفا ،2017 ، صفحة 26).

4. 2 . الموسوعية :

ميزة أساسية في فكر إخوان الصفا، وهي ظاهرة بارزة في مجتمع وعصر اخوان الصفا آنذاك وهي ظاهرة البحث الموسوعي بشموليته، مع عناية خاصة بالبحث في أوسع المعلومات عن الطبيعة بالمستوى الذي بلغته صيغة هذه المعلومات في مباحث الفلاسفة ،وبقدر ماكان إخوان الصفا يمثّلون هذه الظاهرة، كان يغلب على عملهم الموسوعي طابع الميل إلى تعميم معارف عصرهم كلّها عن القوانين الطبيعية المكتشفة حتى ذلك الحين (مروة، 2002، صفحة 361)، فقد عرف فكر إخوان الصفا موسوعية كبيرة من ناحية طرح الأفكار، وتعدد المصادر، واختلاف العلوم، المذكورة وهو ما يعكس حالة العلم والمعرفة التي كانت جماعة إخوان الصفا تتمتع بها ووالإطلاع الكبير لكل هذه المعارف، لكن النقطة الملاحظة هي تعدّد المؤسسين للرسائل وتعدد تخصصاتهم، هو الذي جعل الأمر سهلا لأنه من المستحيل تقريبا أن يجمع شخص واحد كل هذه المعارف والأفكار وبالتالي حصول نوع من التعاون والتكامل في ما بينهم، فنجد أبحاث مختلفة كثيرة على غرار الرياضيات، العلوم الدينية، التربية، الإنسان، الطبيعة، المنطق، الموسيقى ،الفلك ، الشعر وغيرها.

ولا نبالغ إذا قلنا أن هذا العمل الصعب المتمثل في مجموعة من المعارف والعلوم المختلفة قيمة عظيمة في تاريخ الفكر الإنساني قبل الإسلامي، خاصة بعد وضعها في قالب مرتّب ومفهرس في أبواب كثيرة، حيث يشكل إنجاز و إستثناء وبراعة من قبلهم بكل هذه الدقة والتركيز و الصبر، في عصر يشوبه التوتر والإضطراب نتيجة الصراعات الداخلية والعقائدية والسياسية آنذاك في البلاد الإسلامية.

ونلاحظ أيضا أن فلاسفة التنوير خلال القرن الثامن عشر في أوروبا أغلبهم كانوا موسوعيين في تناول الموضوعات، سواء كانت في مجال العلوم الطبيعية، أو في مجال العلوم الإنسانية ، فمثلا نجد فيلسوف رياضي وله إهتمامات كثيرة منها الدين، الأخلاق، العلم، الأدب وغيرها مثل ديكارت وكانط.

4. 3. النزعة الإنسانية:

من خلال الرسائل إهتم إخوان الصفا بمسألة الإنسان كثيرا، بل جعلوه محور أساسي في هذ الكون الواسع ، فبقدر ماكان الإنسان إنسانيا أكثر، بقدر ماكان سعيدا في هذه الحياة، باعتبار أنه كائن يحتوي مجموعة من القيم والمبادئ التي يجب أن يتحلى بها اتجاه الآخر، والإنسانية إذا تأملنا جيدا فهي مرتبطة بنزعتهم الإنفتاحية التي تقبل الآخر كونه جزء من هذا العالم، وهو ماتجسّد من خلال رسائل إخوان الصفا، بعنايتهم الكبيرة بقضية وقيمة الإنسان في هذا الوجود وعلاقته بكل المخلوقات الموجودة حوله، فحسبهم الإنسان يتفوّق على كل الكائنات بفكره وعقله، ورؤيته وشرف جوهره، إذ يمكنه من خلاله أن يصل إلى مرتبة الملائكة فيصبح إنسانا ملكيا متفوقا على أبناء جنسه، بشرط صفاء هذا الجوهر وخلاصة من أدران المادة والهيولة الطبيعية، فعلى الإنسان أن يسعى جاهدا للإقتراب أو الوصول إلى هذه المرتبة التي خلق من أجلها (إسماعيل عجوب ،2010 ، ص 117)، والنزعة الإنسانية على أساس ذلك لا تشمل بني الجنس والعرق فقط، بل كل الأجناس على اختلاف عرقهم ودينهم ونسبهم ،وهنا يضحى الجانب الكوني والعالمي في تفكيرهم وطريقة رؤيتهم للأشياء.

كذلك من خلال قراءة الرسائل نجد أن إخوان الصفا يشجّعون على النزعة الإنسانية أو الهرومانية، من خلال أفكارهم التي تحمل طابع التسامح بين الأيان والشعوب في مابينها والملاحظ أيضا من خلال رسائلهم أنهم لم يكونوا ينشدون تحقيق معارف شخصية منفعية

لأنفسهم فقط، ولا كانوا صوفيين منعزلين وزاهدين على بقية أفراد المجتمع ، ولم ينظروا للجانب الأخروي فقط كالطموح في النعيم الأبدي والسعادة في الأخرى ، بل ألحوا على مفهوم الخير الدنيوي، أي الدعوة إلى فعل الخير من منطلق أن الأفراد داخل المجتمع يحتاج بعضهم بعضا ، وأيضا وجّهوا رسالتهم من أجل إزدهار العمران حسب مفهوم الإسلام في استخلاف الله الإنسان على الأرض (إسماعيل ،1996 ، صفحة 103)، كما يوصي الإخوان بالعطف الشديد على الأخ ، وإيثاره حتى على أدنى الأقرباء ، لأن صلة الأخوة صلة روحية، ودائما مايؤكدون على الرابطة الروحية التي تجعل الإخوان يشعرون شعورا واحدا ويفكرون تفكيرا واحدا أي مبدأ التعاون في كل شيء (فرحات ،1986 ، صفحة 69).

4 . 4. الإصلاح الإجتماعي :

يعد الإصلاح وسيلة مهمة في تغيير المجتمع، لأنه يسعى لبناء قواعد ونظم متينة يسير وفقها مجتمع معين ،فهو غالبا عكس الثورة التي تتميز بالعنف واستخدام الوسائل المادية، أما الإصلاح يهدف إلى التغيير الذهني والفكري للشعب وإعداده وتنشئته تنشئة واعية ومسؤولة، تخدم الأفراد بشكل عام داخل الدولة وتنظم حياتهم وفق أطر موثوقة ومقبولة لدى الشعب الواحد كالمساواة والعدل، وهذا الطريق هو الذي سلكته جماعة إخوان الصفا لتمرير أهدافها الإصلاحية في المجتمع، فإخوان الصفا إنتهجوا نهجا تربويا إصلاحيا أكثر منه ثوريا،وذلك ما يعزز الأبعاد التنويرية لهذه الجماعة.

والأفكار الإصلاحية التي جاء بها إخوان الصفا تتمثل في جوانب أساسية هي الجانب الإجتماعي والسياسي ، فالجانب السياسي والإجتماعي هما مركز الإصلاح في فكر إخوان الصفا ،حيث تأثروا بصورة كبيرة بفلسفة أرسطو وأفلاطون، والفكر اليوناني بشكل عام ،حول أنظمة الحكم والمجتمع المدني وعلاقة الدولة المدنية بالمجتمع والدين

وأيضا فيما يخص أهمية وضرورة الإجتماع البشري، ومن القضايا التي يؤكدون عليها أنّهم يضعون النشاط الإجتماعي أساس سعي الإنسان إلى السعادة، وأيضا يؤكدون على قيمة العمل الجسدي وأهدافه الإجتماعية، والنقطة الأخرى هي أنّهم وضعوا معارفهم في الطبيعة والمجتمع في متناول الجماهير واجتهدوا في نشرها في مختلف الأوساط والفئات الاجتماعية (مروة ،2002 ، صفحة 368 ص 369).

ويظهر البعد الإجتماعي في فكر اخوان الصفا كذلك حينما قدّروا أهمية العمل اليدوي فمجّدوه بصورة تستدعي النظر في عصر احتقرت فيه الأرستقراطية العمل اليدوي، وأوكلته إلى الرقيق والعبيد المجلوب من الهند وشرق افريقيا (إسماعيل ،2005 ، صفحة 216)،ونفهم من ذلك أن غايتهم إصلاح مجتمعهم الذي ظهرت فيه الإعوجاجات والإنقسامات نتيجة الأطماع والأنانية لدى الحكام السلاطين والملوك ،وطبعا المجتمع المقصود هنا هو المجتمع العباسي.

ومن الأفكار المركزية التي اهتم بها جماعة إخوان الصفا،قضية العدالة والمساواة ، بل القضية التي سعى الإخوان من خلالها إصلاح المجتمع و إقامة عدالة إجتماعية تسود الجميع، وذلك عن طريق بث الوعي السياسي في أوساط المجتمع بصفة عامة والأوساط الشبانية بصفة خاصة، وبما أنّهم متمسّكين بمبادىء العدل الإجتماعي المنبثق من فهمهم وتعاملهم بالدين الإسلامي ، فضلا عن استنارتهم المعرفية المتمثة في تأثرهم بعلوم عصرهم والسابقين عنهم من مبادئ أخلاقية وسياسية وغيرها وفي كيفية التعامل مع الأفراد والمجتمعات، فقد عوّلوا على تطبيق مفهومهم في العدالة على أعضاء جماعتهم ، واستقطاب المستنيرين واستثمار أموالهم من أجل تطبيق التكافل الإجتماعي، ليس هذا فقط بل كانوا لا يميّزون بين الطبقات المختلفة داخل المجتمع، سواء كانت طبقة غنية، أو متوسطة، أو فقيرة (إسماعيل ، 1996 ، صفحة 102)، كذلك كان لهم رأي حسن

اتجاه المرأة ووضعتها داخل المجتمع ،على أساس أنها كانت محدودة الوظائف ولا تلقى قيمة كبيرة في المجتمع ،ونادوا بإعطائها قيمة أكبر من الولادة والمتعة الحسية وتربية الأولاد (إسماعيل ،2005 ، صفحة 217).

ومهما يكن من أمر فإن غرض إخوان الصفا تقديم المفاهيم السياسية المختلفة للشباب من خلال تعميم المعارف العلمية في المجتمع عن الطبيعة، والدين، والدولة، والمجتمع، والسياسة من أجل فهمها ووعي مايحصل من تدابير ،وهذا الإصلاح من شأنه أن يبني مجتمع مثقف وتربوي تسوده قيم العدالة والتسامح والمساواة.

4 . 5 . التربية:

أعطى إخوان الصفا التربية أهمية كبيرة في فكرهم، وقد ميّزوا بينها وبين التعليم ، وإن ربطوهما برباط وثيق ، فالتربية عند الإخوان هي إبراز الإستعداد الشخصي وجلاؤه ، وهي نظرة متقدمة إذا ماقيست بعصر معيار التربية فيه هو السماع والتلقين، أما التعليم فيعنى عندهم انتقال المعلومات والمعارف إلى المتعلمين(إسماعيل، 1996 ، صفحة 106)، واذا تتبّعنا جميع فلاسفة التنوير سواء في الفكر العربي أم الغربي على غرار إيمانويل كانط وروسو وفولتير وغيرهم ، نجدهم يركزون كثيرا على قضية التربية والالتزام بالقواعد الأخلاقية والتربوية، لأن ذلك يربي الأجيال ويخلق أفراد واعين ومسؤولين بضرورة التحلي بكل ماينفع المجتمع وينوّره للأحسن، وعليه يشدّد إخوان الصفا على القضية التربوية من خلال مجموعة من النقاط أبرزها :

4. 5 . 1. طلب العلم :

القارىء لرسائل إخوان الصفا يجدهم يؤكدون على أهمية العلم في الحياة من أجل مجتمع مثقف وواعي لكل ممارساته وأفعاله وتطوره ، فهم يشدّدون في كل مناسبة في المطالبة بالعلم والمعرفة ، فمذهبهم الأساسي العلم والمعرفة ، لأنهم على مذهب سقراط

في أن الفضيلة هي المعرفة ، وهذه المعرفة ينشأ عنها جودة الأخلاق والدين والدنيا (أمين ،2013 ، صفحة 374)، كما تعمقوا واهتموا بالجوانب السلوكية والأخلاقية التي تبني حياة الإنسان، حتى أنّهم وضعوا رسالة كبيرة في الآداب والأخلاق دعوا فيها الإنسان إلى ضرورة تهديب نفسه وتأديبها بالعلوم والمعارف (إسماعيل عجوب ،2010 ، صفحة 88). ويعرّفون العلم على صورة المعلوم في نفس العالم، وضده الجهل وهو عدم تلك الصورة من النفس، وأن أنفس العلماء علامة بالفعل، وأنفس المتعلمين علامة بالقوة، وأن التعلم والتعليم ليسا شيئا سوى إخراج مافي القوة ، يعني الإمكان ، إلى الفعل، يعني الوجود، فإذا نسب ذلك إلى العالم سمي تعليما ، وإن نسب إلى المتعلم سمي تعلّما (إخوان الصفا ،2017 ، صفحة 220)، وطلب العلم مستمر حتى سن الخمسين بالنسبة للمعلمين والمتعلمين ، وعلى امتداد هذا العمر يظل الإنسان يتعلم العلم بما يتلائم والمرحلة التي يمر بها من مراحل النضج العقلي (لورسي ،2017 ، صفحة 44).

4. 5. 2. ضرورة وجود المعلم :

يعطي إخوان الصفا أهمية كبيرة للمعلم في العملية التربية بل النقطة المحورية التي تتركز حولها العملية ، المتعلم وعليه وجب أن يتمتع هذا المعلم بصفات خاصة من أجل تلقين العلم والمعرفة للطلاب للطلاب ، ومن ثم وجب على كل إنسان أن يتخير ويختار المعلم الذي يتلقى عنه أو يتلقى عنه ولده ، ومن سعادة المرء أن يتفق له معلم ذكي، جيد الطبع، حسن الخلق، صافي الذهن، محب للعلم، طالب للحق ، غير متعصب لرأي من المذاهب (الدسوقي ، صفحة 207)، لأن أي نقص في هذه الصفات قد يترتّب عنه سلبيات عديدة من شأنها أن تعرقل العملية التربوية وتضعف من نتائجها الجيدة .

4. 5. 3. التفاوت بين المتعلمين:

نقطة مهمة في المهمة التربوية والتعليمية بالنسبة لإخوان الصفا، أي مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين وإمكانياتهم المادية، والمعنوية، والعقلية، وإعطاء كل تلميذ العلم والمعرفة بما يتلائم قدراته وميولاته (لورسي ،2013 ، صفحة 44)، حيث نلحظ إشارة صريحة في قولهم: إعلم أن الناس في هذه القوة متفاوتو الدرجات تفاوتا بعيدا جدا، والدليل عليه أنك تجد كثير من الصبيان يكون أسرع تصورا لما يسمعون وأجود تخيلا لما يصف لهم كثير من المشايخ والبالغين ، وذلك أن كثيرا من العلماء والمرتاضين في العلوم والآداب تعجز نفوسهم عن تصور أشياء كثيرة قد قامت الحجة والبراهين على صحتها (إخوان الصفا ، 2017 ، صفحة 20).

4. 5. 4. البيئة التربوية :

نقطة أساسية يتحدث عنها إخوان الصفا، وهي أن عامل البيئة يؤثر إمّا إيجابا أو سلبا في العملية التربوية ذلك أن العادات الجارية بالمداومة تقوّي الأخلاق والسجايا فان كثير من الصبيان إذا نشأوا مع الشجعان، والفرسان، وأصحاب السلاح وتربّوا معهم تطبّعوا بأخلاقهم، والعكس إذا نشأ الصبيان في وسط نسائي فيه المخنثين والمعيوبين تأثروا بأخلاقهم (فروخ ، 1953 ، صفحة 124)، أي أن البيئة قد تكون عامل إيجابي في اكتساب الأخلاق الحميدة والمرغوبة، وعامل سلبي باكتساب الأشياء السلبية والأخلاق المنافية للقيم الإنسانية الحميدة، فاختلاف لغات الانسان والوانهم واخلاقهم وصورهم متأثرة ببيئتهم وأن الاجرام السماوية من ضمن البيئة ، فهي تؤثر في الأقطار المختلفة تأثيرا مختلفا وخصوصا الشمس (أمين ، 2013 ، صفحة 377).

4. 6. العقلانية :

من المظاهر الدالة على التنوير في فكر إخوان الصفا عقلانيتهم ومنطقهم العقلي في تسيير شؤونهم وأيضا كيفية تعاطيهم مع المسائل المختلفة التي اهتموا بها والتي تهم

المجتمع ، أيضا كطرحهم لمسألة الألوهية والخلود ومصادر المعرفة وعلاقة الإنسان بالوجود والله وغيرها، والدليل أنهم يبنشدون العقلانية في طرحهم، هو منهجهم العقلي في المعرفة، حيث قسموا مصادر المعرفة إلى قسمين معرفة حسية يتشارك فيها الإنسان مع الحيوان ، ومعرفة عقلية يتميز بها الإنسان عن كل الكائنات في الكون ، وحسبهم كلما تجرّد الإنسان عن نزعاته الشهوانية والحسية الزائلة كلما ارتقى إلى درجة من القيم والمرتبة القصوى من التفكير ، ونجد أيضا دعوتهم إلى التحرر ومحاربة الآراء الضالة والفاسدة والتي تبعث البغض والعداوة بين الحكومات ، والإبتعاد عن الأراء والتصورات التي لا يقبلها العقل كالإعتقاد بأن العالم قديم لا صانع له والقول بأن العالم محدث وله صانع واحد حكيم .(العوا ، 2000 ، صفحة 359).

4. 7. عدم إدعاء الحقيقة :

مايميز إخوان الصفا من خلال رسائلهم تجنب الحديث عن حقيقة مطلقة في فكرهم ، بل دائما مايؤكدون على عدم وجود حقيقة مطلقة في هذا الكون ،لأن الحقيقة يملكها الله وحده ولا يملكها أي إنسان، والأهم في نظرهم معرفة الله ومحاولة التقرب منه ،والإجتهاد من أجل بلوغ الغاية الأسمى، ألا وهي معرفة الله معرفة صحيحة من دون شك ولا ريب وأن جميع الناس في هذا العالم سواسية، فقط هناك إجتهادات بينهم ، قد تختلف في الطرق، لكن غايتها واحدة.

ومهما يكن من أمر فإن كل ماذكرناه من مظاهر للتنوير الذي نادى به إخوان الصفا،من موسوعية كبيرة وإصلاح إجتماعي وأبعاد إنسانية وتربوية، تجعلنا ننبهر بما قدمته لنا هذه الجماعة، وأيضا تجعلنا نقدر كل هذ العمل التنويري التثقيفي التحرري، والذي ينم عن فكر موسوعي وسعة إطلاع كبيرة، إستطاعت من خلاله جماعة إخوان الصفا أن تنوّر عقولنا وفكرنا بشكل يدعو للتأمل والإهتمام.

5. الخاتمة:

نستنتج من خلال إنجاز هذه الورقة البحثية أن:

1 – جماعة إخوان الصفا جماعة مهمة في التاريخ الإسلامي، ظهرت خلال القرن العاشر ميلادي والرابع الهجري على أغلب التقديرات، ألفت موسوعة فكرية وفلسفية، تسمى رسائل إخوان الصفا ضمّت أربع رسائل، في كل رسالة عالجت قضايا مختلفة، كالرياضيات والفلك والدين والموسيقى والتنجيم وغيرها، وقد أتبعتها بخلاصة ماتوصلت إليه برسالة خاتمة أسمتها الرسالة الجامعة.

2 – أن جماعة إخوان الصفا حملت في طيات فكرها إرهاصات عن التنوير بكل تجلياته المختلفة، كالموسوعية التي شملت مجالات عديدة منها مايهتم بالجوانب الإنسانية وأيضا العلمية، والأبعاد الإنسانية والجانب العقلاني ، وأيضا الاهتمام بالتربية والعلم والإصلاح الإجتماعي، وهدفهم في ذلك تنوير وتثقيف المجتمع بكل طبقاته ، وجعله مجتمع واعي ومسؤول عن كل ممارساته وأفعاله داخل محيطه.

3 – أن طابع الإنفتاح أكثر مايميز جماعة إخوان الصفا، والمقصود به إحترام كل الشعوب والثقافات الأخرى الغير إسلامية، ولاأدل من ذلك إنفتاحهم الديني على كثير من الأديان والملل والنحل، كالمسيحية واليهودية وغيرها ، وأيضا إنفتاحهم الفكري والعلمي على ثقافات أخرى وأخذهم للكثير من العلوم من تراث غير إسلامي، كالتراث اليوناني المتمثل في أرسطو وفيثاغورس، وأفلاطون، وهدفهم من هذا الإنفتاح نبذهم للتعصب والتشدد، والدعوة إلى التحرر والإستفادة من الثقافات الأخرى، لأن الثقافة حسبهم تخص الإنسانية جميعا، ولامانع إذا وقع إحتكاك بين الثقافات من أجل التقدم والتطور الإنساني.

4 – أن تركيزهم على الإنسان في موضع كثيرة دليل على نزعتهم الإنسانية ،بجعل الإنسان ذاقيمة وأهمية تصدر منه القيم والمبادئ الدينية والأخلاقية ،ولذلك اهتموا بقضايا مثل

التسامح والتعاون ،لأن ذلك يجعلنا إنسانيين أكثر ويخلق نوع من المودة والألفة بين أفراد المجتمع الواحد ،ومن شأنه أن يقلّل من حدة الصراعات والمشاكل التي تحدث بينهم سواء داخل مجتمع معين ،أو بين مجتمعات يختلفون من حيث العرق والثقافة .

5 – أن اهتمامهم الكبير بالتربية لم يكن وليد الصدفة ،بل أمر منظم ومخطط له لقيمته وأثره على المجتمع ،وقد أعطو مجموعة من القواعد السابقة لعصرهم ،والتي أصبحت تدرس في العصر الحديث ،كعلاقة المعلم بالتلميذ ، وعلاقة التلميذ بالمادة المعرفية ، ومعرفة إمكانيات التلميذ ،وتقسيم المادة المعرفية للتلميذ ،بحيث تعطى له عن طريق دفعات لكي لا يفقد تركيزه وانتباهه، وأيضا معرفة إمكانيات التلميذ العقلية والنفسية والجسدية ، لكي نحدد أي الأفكار الواجبة إعطائها له ، وأن يكون المعلم ذا أخلاق عالية وتربية حسنة وذلك عن طريق الإختيار الأحسن للمعلم ، كذلك كلامهم عن البيئة أمر مهم ،كون البيئة تساهم في تربية الأطفال ،بمعنى أن الذفل هو المرآة المعاكسة للبيئة .

ومهما يكن من أمر فإن إخوان الصفا قد كشفوا عن مجموعة كبيرة من النقاط التنويرية التي نحتاجها في المجتمع، ولاسيما وضع العقل كأساس لكل المعارف، عن طريق فحصها وتمحيصها،والدعوة إلى التحرر من التعصب والأفكار الخرافية، وغايتهم من كل هذا نشر الوعي وإقامة مفاهيم جديدة يقوم عليها المجتمع مثل العدالة، والمساواة، والحرية، والعقلانية، من أجل بناء مجتمع صالح ومتقدم .

قائمة المراجع :

1 . أبو ناظر ، موريس ، (2011) ، التنوير في إشكالاته ودلالاته ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط1 ،بيروت .

2 . أحمد عبد الله ،وجيه ، (1989) ، الوجود عند إخوان الصفا ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .

3 .إخوان الصفا ، (2017)، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، (الجزء الأول) ، مؤسسة هنداوي سي آي سي ، المملكة المتحدة .

4 .إخوان الصفا ، (2017)، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، (الجزء الثالث) ، مؤسسة هنداوي سي آي سي ، المملكة المتحدة .

5.إخوان الصفا ، (2017)، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، (الجزء الرابع) ، مؤسسة هنداوي سي آي سي ، المملكة المتحدة .

6 . إسماعيل عجوب ،منال (2010) ، الإنسان والأدب في رسائل إخوان الصفا ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق .

7. إسماعيل ،محمود ، (2005) ، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، (المجلد العاشر) ، دار مصر الحروسة ، ط1، القاهرة .

8 . إسماعيل ، محمود ، (1996) ، إخوان الصفا : رواد التنوير في الفكر العربي ، (عامر للطباعة والنشر بالمقصورة .

9 . أمين ، أحمد ، (2013) ، ظهر الإسلام ، (الجزء الأول) ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة .

10 . التوحيدي أبو حيان ، (2017) ، الإمتاع والمؤنسة ، مؤسسة هنداوي سي آي سي ، المملكة المتحدة .

11 . الجليند ، محمد السيد ، (1999) ، فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .

12. الحواس ،فراس ، (2016) ، طريق إخوان الصفا ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، ط3 ، دمشق .

13. الدسوقي ، عمر ، إخوان الصفا ، دار إحياء الكتب العربية ، لندن .

14. العوا ،عادل ، (1993) ، حقيقة إخوان الصفا ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ،ط 8 ، دمشق .

15 . عبد الحافظ ، مجدي ، (2007) ، فكرة التطور عند فلاسفة الإسلام ، ترجمة : هدى كشرود ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب .

16. فرحات ، يوسف ، (1986) ، الفلسفة الإسلامية وأعلامها تراد كسيم ، ط1 ، جنيف .

17. فروخ ، عمر (1953) ، إخوان الصفا : درس ، عرض ، تحليل ، منشورات مكتبة منيمنة ، ط 2 ، بيروت .

18. كانط ، إيمانويل ، ماهي الأنوار ، تعريب وتعليق : محمود بن جماعة ,

19. لورسي ، عبد القادر ، (2013) ، المرجع في علوم التربية ، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر .

20. مروة ، حسين ، (2002) ، النزعات المادية في الفلسفة الإسلامية ، (المجلد الثالث) ، دار الفرابي ، ط1 ، بيروت .